

# المشرق

## تاريخ جديد

### لمدرسة بيروت الفقهية الرومانية

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في احد اعداد المشرق السابقة (عدد أيار ص ٣٧٣-٣٧٨) لمة من اخبار المدرسة النقيية التي انشأها الرومان في بيروت في اواخر القرن الثالث للمسيح وكنا نجمل وقتئذ ان احد كبار اساتذة الفقه الميسر پول كولينه كان على وشك الفراغ من تأليف كبير افردته لتاريخ هذه المدرسة الشهيرة. وها هو ذا تطف وارسل لنا منه نسخة هذا عنوانها :

HISTOIRE DE L'ÉCOLE DE DROIT DE BEYROUTH par, Paul Collinet, Professeur à la Faculté de Droit de Paris, Professeur honoraire à la Faculté de Droit de Lille (Études historiques sur le Droit de Justinien). Paris, t. II Société anonyme du Recueil Sirey, in-12, 1925, pp. 327

فتقبلنا هذه الهبة بزيد الشكر. كيف لا وهي توقعنا على بعض مفاخر مدينتنا بيروت التي احزرت مدة نحو ثلثمائة سنة مجداً مؤثلاً كادت تعجز آفات الدهر فأحيا معالمة احد اساطين العلوم الفقهية الفرنسويين بهذا الكتاب الفريد الذي كنا نود لو يتروم احد ادبائنا ويضع بتعريبه. وها نحن نلطف قراءنا بعض مضامينه رجاء ان يعقوا على مجموع فوائده المشتمة

## صورة الكتاب وغايته واقسامه

كان الاستاذ كولين باشر بادى بدو بدروس تاريخية عن اعمال الامبراطور  
يوستيان في تنظيم العالم الفقهية فنشر في ذلك سنة ١٩١٣ مجلداً ضخماً وبين فيه  
ان مشروع يوستيان كان مئسماً بسمة شرقية اُثرت في دستور الشرائع الغربية المدرسي .  
فأعجب الاختصاصيون بتأليفه ونال جائزة المجمع العلمي (الأكاديمية) الاثري الفني  
في باريس . وكان العلماء . وخصوصاً ارباب الفقه ينظرون المجلد الثاني من كتابه اذ  
جاءت الحرب الكونية وحالات دون رغبته لكنه زاد تعمقاً في درس الآثار الفقهية  
المشروطة بدستور يوستيان واصوله وينابيعه واذا بمدرسة بيروت واقفة بازانه حينما وجه  
ابصاره فتحقق انه بدرسه تاريخها يجد حلاً لعدة مشاكل كان يعاص عليه ادراكها .  
فغزم على ان يحضرها بدرس مستقل لا كان لها ولاساتذتها من النفوذ اذ فاقت على  
مدرستي رومية والتمنطنية . فجمع كثيراً من النصوص الناطقة بشفها واعمالها  
العجية وعدة استاذتها وعارض نصوص معلمها بسرائر يوستيان المتولة عنها . فأدّت  
به الجائز الجليلية الى تصنيف هذا الكتاب اسى نحن بصدده وهو يبلغ ٣٣٢  
صفحة . وقدّم على كتابه قائمة اذ تيف المطبوعة والحظية التي استند اليها في ايراد  
معلوماته . ثمّ قدم تأليفه الى ستة فصول تتناول مجمل ما يتوق القراء الى معرفته في  
هذا الشأن وها نحن نستقرها فصلاً فصلاً لتجني بهض ثمارها الشهية

## نظر عام في احوال المدرسة بيروت الفقهية

هذا الفصل الاول من الكتاب بحث فيه عن ثلثة مطالب :

﴿المطاب الاول﴾ في اي سنة اُنشئت مدرسة الفقه في بيروت ؟ قد تفرقت

آراء العلماء في تاريخ انشاء هذه المدرسة فمنهم من رقاها الى زمن اوغسطس قيصر في  
الجيل الاول للمسيح . وارتأى غيرهم انها اُنشئت في عهد الامبراطور اديان وذهب  
البعض الى انها برزت للوجود في ملك سبتيموس ساويرس في اواخر القرن الثاني . إلا  
ان هذه الآراء لا تستند الى شهادة راهنة واضحة . وأما المرجح ان المدرسة البيروتية  
ظهرت الى النور في القم الاخير من القرن الثاني للمسيح . يستدل عليه من خطبة

للقدّيس غريغوريوس اسقف قبادوقية المعروف بالامجانيي القاء سنة ٢٣٩ للمسيح فجاء في اثنائها لأول مرّة ذكر مدرسة بيروت فنعتّها بالمدرسة العهرمية للفقهاء الروماني ومعهم العلم (Romani juris harum legum communis schola et auditorium) يؤخذ منه أنّ مدرسة بيروت كانت زاهرة في تلك السنة لها سعة مستفيضة في العالم الروماني. وهذا ما لا يتمّ إلاّ بعدة سنين

﴿المطلب الثاني﴾ ماذا كان الداعي الى انشاء الرومان مدرسة فقهية في بيروت؟ إنّ الداعي لذلك (أولاً) مقام بيروت بالنسبة الى رومية فإنّ هذه المدينة كانت كباب الشرق ومفتاحه كما يدعوهها كسبة ذلك العهد لتوسطها في سواحل بحر الروم اليها تفضي تجارة البلاد الداخليّة من جزيرة العرب وجهات الارمن وما بين النهرين . ثمّ (ثانياً) تهلّى البيروتيين بالدولة الرومانيّة حتى أنّ القدّيس غريغوريوس دعاها بالمدينة العريقة بالجنسيّة الرومانيّة  $\rho\omicron\mu\alpha\iota\kappa\omega\pi\epsilon\tau\epsilon\varsigma$  فخصّها القياصرة بسابغ نعمهم فنجسها اوغطوس حقوق المستعمرات المكروية وجعلها مركزاً لكتيبتين من الجيوش . واقام عليها والياً صهره اغريبيا ودعاها باسم ابنته جوليا وتنافس الملوك من سلالة هيرودس اغريبيا في تزيينها بالهياكل الجلييلة من هياكل ومراسم وقصور شتى . وفي سرفاها كان يجتمل الاسطول الروماني لمراقبة البحر المتوسط . وشرفها كثيرون من القياصرة بزيارتهم . فكل ذلك كان مدعاة لتتمنح امتيازاً لتدريس الحقوق الرومانيّة . ثمّ (ثالثاً) استعداد بيروت لانشاء مدرسة فقهية فإنّ وفرة المعاملات التجاريّة تفتح باباً للدعوي والدعاوي لا تنفصل إلاّ بالرجوع الى الشرائع فلا بدّ من درس الشرائع . ولذلك كانت رومية جمات بيروت مستودعاً لا يسفّ . ملجأها وماسّتها من الشرائع فكانت تودع في خزائن بيروت . لنا على ذلك شاهد في الدستور المعروف بالغرغوري في السنة ١٩٦ للميلاد . فوجود هذا المجموع الشين يدلّ على قول العلامة الاماني الكبير « رومين » على أنّ مدرسة بيروت كانت سبقت تلك السنة . أمّا السير كولينه فيفضل القول بأنّ المدرسة أنشئت بعد اختراع تلك الشرائع في مستودعات بيروت فعلى رأيه إنّ بعض المتفهمين اذ وجدوا لديهم تلك الشرائع اخذوا يدرسونها ويقتنون بموجبها ثمّ اتسع شغلهم واشتهروا بنقل المعاماة ففكروا في انشاء مدرسة قانونيّة

﴿المطلب الثالث﴾ أين وردت المعلومات عن مدرسة بيروت الرومانية الفقهية ؟

رأيت أن أقدم شاهداً على وجود مدرسة الحقوق في بيروت يرقى إلى السنة ٢٣٩ . وجاء ذكرها في ترجمة القديس الشهيد أفيان الذي درس فيها الحقوق قبل استشهاده في قيصريّة سنة ٣٠٦ م . وكذلك ذكرها الامبراطوران ديوقليطيانوس ومكسيميانوس في قرار أصدره في اواخر القرن الثالث في حق التلامذة القادمين من بلاد العرب بموجبه رُخص لهم ان يدرسوا الحقوق في بيروت ولو كان عمرهم بالغاً إلى ٢٥ سنة فأثبتنا بذلك اعتبارهما لطلبة الفقه في بيروت

أما الشواهد عن المدرسة البيروتية في القرن الخامس فمديدة واضحة منها شهادة ارنابيروس الفيلسوف الوثني في مديحه لاناثوليوس البيروتي الذي كان اتقن علم الحقوق في وطنه قال « ولا عجب لأن بيروت هي أم وظائف العلوم الفقهية » . ومنها شهادة القديس غريغوريوس التريزي مركز في أنها الشرائع الرومانية . واخص منها عدة شواهد الكبير اساتذة الخطابة والاداب في عصره ليبانيوس الانطاكي معلم القديس يوحنا فم الذمب لأنه كرر مراراً في رسائله ذكر مدرسة بيروت والمرأ تلميها زاردي اسفه على العدد الغير من الثبات الذين كانوا يفضلون درس الحقوق في بيروت على درس الخطابة في انطاكية . ويستناد من كلامه ان لغة التدريس في بيروت كانت اللاتينية

وكذلك ورد في كتاب وصف عزم الارض ( Descriptio orbis terræ ) لاحد كتبة القرن الرابع مديحٌ بليغ في بيروت ومدرستها التي « شاعت في العالم الروماني تاليها التمهية كما شاع في كل انحاء المملكة ذكر مشاهير الفقهاء المتخرجين فيها »

ومثلها شأناً الشواهد التي وردت لكتبة القرن الخامس كشهادة مؤرخ حياة السابيين الشقيقين ار كاديوس ويوحنا اللذين رويّت في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٦٩٤) قصتها العجيبه اذ ارسلها ابراهما ليدرسا الفقه في بيروت . وكشهادة الشاعر الوثني نوتس الذي افاض في اوصاف بيروت ودعا مطعمي مدرستها الفقهية « اساتذة السكونة » οἱ τῆς οἰκουμένης διδασκαλοὶ

واصرحُ وابلغ منها شهادة زكريا النزري الخطيب الذي سُقِف على جزيرة متيلين

في سيرة ساويرس الانطاكي التي كتبها بالسرانية فوصف فيها ساورك ساويرس في بيروت حيث أتى ليدرس الفقه نحو السنة ١٨٦٠. فذكر ذكرياً المدرسة الفقهية واتسع في تعريف دروسها وطلبتها واساتذها وما كان جارياً فيها من العادات بل افادنا عن عدة اخبار مخصوص بيروت واهلها واكليروسها وكنائسها ومبانيها

هذا فضلاً عن شهادات أخرى جاء فيها ذكر بعض تلامذة مدرسة بيروت كما

سترى

وكان أطيّب شهادة على محاسن مدرسة بيروت مديحاً للامبراطور يوستينيان في منشورين له عن الدروس كالفقهية (Tanta و Omnem) كتبها في ١٦ ك ١ سنة ٥٣٣ وكرّر ثنائه على «بيروت الفاتحة الجمال وظفر الشرائع» وقد جعلها إحدى المدارس الثلاث مع رومية والقسطنطينية التي تعرفها الدولة رسمياً فترى ان هذه الشواهد متواصلة منذ القرن الثالث الى السادس وكلها لان واحد في الثناء على معاهد بيروت لتعليم الفقه الروماني. ولم تنته تلك المحامد إلا بما عقبها من اصوات الاسف لما أصيبت بنكبة الزلازل التي لحقتها بالدمار وابدت آثار مدرستها وذلك في ١٦ تموز سنة ٥٥١

## ٢ معاهد مدرسة بيروت الفقهية

هو الفصل الثاني الذي حاول فيه السيوكوليت ان يميز موقع مدرسة بيروت ومعاهدها التي كانت تُلقى فيها الدروس الحقوقية إلا ان ما أُصيبت به المدينة من الآفات وضروب الحراب قل ما يسمح بتعيين مكان المدرسة. فاعاد المؤلف نظره في ما كتبه التقدماء عن المدرسة واحوالها ولاسيما ذكرياً الخطيب في ترجمة ساويرس وما وُجد في المدينة من الآثار القديمة فتبين له ان المدرسة كانت قريبة من إحدى كنائس بيروت الثلاث المذكورة في ذكرياً اعني كنيسة الرسول يهوذا وكنيسة مريم وكنيسة القيامة ورجح عليها كنيسة القيامة لأنها كانت الكنيسة الكاتدرائية الكبرى التي شيدها اسقف المدينة اوستاتيوس (٤٤٣-٤٦٠) في مكان كنيسة سابقة كان القيصر يوثيانس حكم على والي المدينة الوثني مَنوس ان يشيدها على نفقته سنة ٣٦٤ لأنه كان امر مجرقها في عهد يولييانس الجاحد. اما سبب تفضيله لهذه الكنيسة على سراها

فلا دلةٌ مختلفة وإشارات دقيقة وردت في رواية زكريّا الخطيب تثبت قرب وقوع مدرسة الفقه بجوار كنيسة القيامة. والى هذا الرأي ذهب أيضاً لوكيان (٢: ٨١٩) في كتابه الشرق المسيحي والاب جوليان اليسوعي في كتابه «سينا وسورية» اثبتا رأيها بألوف عادة تلك الاجيال بان تجعل المدارس قريباً من الكنائس

ولكن ان كان موقع كنيسة القيامة ؟ كانت قريبة من الطريق الرومانية الممتدة من الشرق الى الغرب مائة بين مستشفى راهبات المحبة وكاتدرائية مار جرجس للموارنة. على ان البعض جعلوها شمالي الطريق اي عند المستشفى المذكور كما وجد هناك من الآثار القديمة. لكنّ المسيو كولينه يخالف هذا الرأي ويجعلها جنوبي الطريق المذكورة قريباً من كنيسة مار جرجس وذلك لسببين اولاً لان كنيسة القيامة كانت داخل سور المدينة فان جعلت في مستشفى راهبات المحبة اقتضى القول بانها كانت خارجة عن السور. وثانياً لان الآثار القديمة التي وجدت جنوبي الطريق كانت ارفع واعظم مما وجد في شمالها. وأيد ذلك بكتابة ضريحية وجدت هناك وقت عليها حضرة الاب جلابرت اليسوعي وفيها ذكر احد اساتذة مدرسة الفقهية البيروتية المدعو بتريكيوس فكأنه دفن في الكنيسة المجاورة بمدرسة التي علم فيها

### ٣ الطلبة في مدرسة الفقه البيروتية

تم المؤلف هذا الفصل الثالث من كتابه اربعة اقسام بحث في (الاول) عن الطلبة القادمين الى مدرسة بيروت واستعدادهم لدروسها. وفي (الثاني) عن اصلهم وجنسهم واسماهم. وفي (الثالث) عن معاشهم. وفي (الرابع) عن اعمالهم

١ كان طلبة الفقه قبل تفرغهم لدرس الحقوق يحتاجون الى دروس لتوية وادبية في اللغتين اليونانية واللاتينية تؤهلهم للدخول في مصف تلامذة العلوم الفقهية. فتلك الدروس الثانوية كانوا يتلقونها في اوطانهم امّا بمساعدة بعض المعلمين الحصريين او في المدارس الوطنية العمومية. وقد ورد بين هذه المدارس ذكر الحاضرتين الكبيرتين الاسكندرية وانطاكية فان العلوم الادبية فيها كانت بلغت شهرة واسعة. فكان تلامذتها اذا انجزوا دروسهم الثانوية يقصدون بيروت لينتظروا في سلك دارسي الحقوق الرومانية

٢ قد جمع جناب المؤلف في كتابه (ص ٨١-٩٨) نحو خمسين اسماً من طلبة الفقه الذين تخرجوا في مدرسة بيروت نقلها عن الكتبة المعاصرين لاسيا ليانوس استاذ الخطابة الشهير في انطاكية وزكريا الخطيب في ترجمة ساويرس الانطاكي والمورخ بروكبيوس القزبي الشهير. فهذه الاسماء: اماً يونانية كاناطوليوس وناودورس واثناسيوس وانتاس وايقزيروس واما لاتينية كفلاقيانوس وهيلاريوس وسلوانس واركاديوس. ومنها اسماء نصرانية محضة كبطرس وزكريا ومكاربوس ويوحنا وقسطنطين وفيلبوس

أما اوطانهم فالبعض منهم من بيروت كبنيلوس وناطوليوس وقسطنطين. او من جهات سوريا وفلسطين كنيانوس الدورى وزكريا القزبي ومثله خمسة آخرون من غزة وكركيا ويوحنا من ميمونة وناودورس وايقزيروس واسطفان من عقلان وارقيون وهرموجان وبارينوس من انطاكية وكناتاس من الرها وايقزيروس السيطي. وكان غيرهم من جزيرة العرب كسفرينوس وناودورس ويوحنا وبعضهم من الاسكندرية كاثناسيرس وايزيدورس او من عين شمس وكأسكليبيدوتس ومعظمهم من آسيا الصغرى من بيشنيا وقيايقيا وايبريا وليقيا واليرنان حتى من القسطنطينية كبرنغيرس واركاديوس ويوحنا اخيه

وقد افادنا ليانوس الانطاكي ان طلبة الحقوق في بيروت كانوا في اول الامر من اواسط القرن ثم اخذ اولاد الاعيان يهجرون العلوم اللسانية لينتقمرا لعلم الحقوق في بيروت

أما اديانهم فكان بعضهم وثنيين كارقيمون وهرموجانس وهيلاريوس وبعضهم مانويين كجرجس التالونيكى واسكليبيدوتس ولاونطيوس يتعاطون السحر كما ورد في اخبار ساويرس الانطاكي في اواخر القرن الخامس فحكم عليهم بالنفي. واما العدد الاوفر منهم فكانوا من المسيحيين استشهد منهم القديس بنفيلوس اسقف غزة البيروتي سنة ٣٠٩ والآخران الشهيدان افيانوس في قبرية وايديسيوس في الاسكندرية (١) وتصف غيرهم كساويرس الانطاكي وزكريا القزبي ويوحنا العربي والبعض صاروا كهنة كيوحنا الفلطيني الذي خدم كنيسة القديس يهوذا في

(١) وقد جاء للمؤلف بالخط (ص ٣٩) ان افيانوس كان اسقفاً على قبرية

بيروت في اواخر القرن الخامس واسطغان السقلاني ويوحناً دوفوس . وتنفك آخرون  
كانثاسيوس من بلاد كارية واركاديوس ويوحناً الاخوين ترهباً في بعض اديرة  
فلسطين (١)

وقد اصاب بعض هؤلاء الدارسين مناصب شريفة كاناطوليوس الذي صار والياً  
في عهد القيصر يوليانوس الجاحد وكنيائوس الصودي الذي تعين اتمنصية فينيقية سنة  
٣٦٢ واهلاً الذين اشتهروا بالمعاماة فكثيرون

٣ كان معاش الدارسين في بيروت مبنياً على اتفاق مع اهلها اذ اصحاب  
فنادقها . وكان التلامذة يدفعون لاساتذتهم راتباً معيناً ما خلا ما كانت الدولة  
تجعل لهم من الوظائف . وكان الطلبة يتعاضدون بمقد نقابة يدعونها شركة  
الدارسين ليدافعوا عن حقوقهم . على ان المتقدمين منهم في الدروس كان يتحكّمون  
على المتدئين من الطلبة ويسمونهم خسفاً حتى اضطر الامبراطور يوستينيان ان يضع  
حداً لتلك المعاملات الجائرة

اما اسارك الدارسين فكانت اتمنصية كبيرة اذ كان قسماً كبيراً منهم كان  
يستلم للذات والشهوات الجامعة مع ما زاد . يُنقون في بيروت من اسباب انشاء  
والدواعي الى ارتقها لاسيما ان الوثنية عرل سائدة على شطر من المدينة . وقد أدى  
سوء السلوك ببعضهم الى ان تعاطوا الحجريات واصبحوا عثرة في سبيل رفقتهم بل  
تأذى منهم البيروقريون لولا ان استق المدينة أعلن بحارثهم ودفح الحكام على نقيهم  
على ان قسماً آخر من الطلبة وبالخصوص المسيحيين منهم لم يدعوا اهمواء العالم  
تطلب على قلوبهم فكانوا يلزمون الحياة السالحة ويتشبهون بأهداب الدين . وقد  
ورد في سيرة ساويروس الانطاكي انه كان في كل مساء يزور مع بعض رفاقه  
كنيسة القيامة ويمارسون الاعمال التقوية فاصبحوا قدوة لرفاقهم بل عدل بعضهم  
عن درس الجقوق الى اعتناق الكهنوت او العيشة النكئة

وقد انبأت الآثار الباقية ان كثيرين من الطلبة المذكورين نجوا من عثرات  
الشباب بانكبابهم على الدرس وتعمقهم في العلوم الفقهية . فلا عجب ان شهرة مدرسة  
بيروت انتشرت بسببهم اذ انتدبتهم الدولة الى مناصب الافتاء والمعاماة في حواضر

(١) لكنهما لم يشهدا كما ورد في الكتاب (ص ٤٢) لهما ولا والداهما

البلاد فاحزروا لهم سمة طيبة

٤ أما اعمار الدارسين فكانت غالباً بين الخامسة عشرة والعشرين من سنهم فيدرسون اصول العلوم الفقهية وفروعها اربع سنين ومنهم من يضيف اليها سنة خامسة. على ان هذه القاعدة شذت نوعاً بتقرير للقيصرين ديوقطيانس ومكسيميانوس اعلنا فيه بالرخصة للتلامذة العرب ان يواصلوا دروسهم الى السنة ٢٥٠ من عمرهم ثم اتمموا في هذه الرخصة حتى ان بعض الطلبة كانوا يبلغون الكهولة وجاء في احد تواريخ ساويروس الانطاكي انه بقي في بيروت الى السنة الثلاثين من عمره.

#### ٤ اساتذة المدارس الفقهية في بيروت

هو الباب الرابع من تأليف الميرون كولينه (١١٩-٢٠٩) بحث فيه عن اسما اساتذة بيروت في مدرستها الرومانية الفقهية وعددهم وتنصيبهم وروايتهم وامتيازاتهم

أما (اسماء اولئك المدرسين) فلا يعرف منهم احد. قبل القرن الرابع فان الذين زعموا بان كبار النحهاء في القرنين الثالث واثالث كمايس وانيان وياپينيان ومرسيان وتريفونوس علموا الفقه في بيروت لا يستندون الى سند ثابت بل رووا قولهم حدساً لان اولئك الاساتذة كان اصاهم من بعض مدن سورية او سرُوا ببيروت

وفي القرن الرابع لا يعرف من اساتذة بيروت إلا المسمى دومنينوس تكرر ذكره في رسائل ليانيوس يوصيه بشبان يذهبون من انطاكية ليتعلموا الفقه في

بيروت

أما القرن الخامس وهو قرن المدرسة الذهبي فقد اشتهر فيه كثير من معلمها الذين نعتهم احد معاصريهم «بأساتذة العالم» اخذهم كيرلس شارح كتب الپيان وياپينيان ثم باتريتيوس المعروف بالاستاذ الكبير وبلك مدرسة بيروت الفقهية ويرجع ان الكتابة المحطمة التي رجاها حضرة الاب جلايرت قريباً من كنيسة مار بروجس الروم وجاء فيها ذكر «باتريكيوس العالم بالشرائع» انما هي لضريح هذا الاستاذ. ثم الاساتذة دومنينوس وديموستان واودوكيوس وأمبليكرس ولاونتيوش بن

اودكيوس

وهذا الأخير كان يعلم في أواخر القرن الخامس وتولّى مسدّة ولاية الشرق على عهد القيصر انستاس (٤١١-٥١٨) ثمّ مات في نواحي سنة ٥٣٠

وقد رجحت بيروت في القرن الخامس بفضل اساتذتها من الامبراطورين ثاودوسيوس والثانيان ان رُفعا رتبها بقرار خصوصي بين السنتين ٤١٨-٤٥٠ فنحاهما شرف الحاضرة (metropolis Berytus) ورُقي ايضاً بسببها اسقف المدينة الى درجة المتربوليت مستقلاً من متربوليّة صور. وكذلك رُقياً المدرسة بقرار ثانٍ الى امتياز المدرسة الرسيّة (Privilegium studii) كدينتي رومية والقسطنطينيّة وفي ذلك العهد نُقلت معاهد التعليم الى جيرة الكنيسة قبل السنة ٤٤٩م

أما القرن الخامس فذكر من اساتذة بيروت ما خلا اناطوليوس بن لاونتيوس ذلالوس واسطنان ويوليانوس ودوروثاوس وهؤلاء استعان بهم الامبراطور يوستينان لتتقيح كتب الشرع وتلخيصها وتنظيمها. وفي اواسط هذا القرن خربت بيروت ومدرستها بالزلزل

وان سالت عن (عدد المعلمين) السنوي للسنين الاربع او الخمس التي كان يُدرّس فيها الفقه في القرون الاولى لم تجد معلماً خاصاً لكل سنة. بل كان المعلم الواحد يدرّس تلامذة سنتين وهكذا لم يزد عدد المعلمين على اثنين او ثلاثة فان لاونتيوس مثلاً الذي ذكره زكريّا الخطيب كان يلقي دروسه على تلامذة السنتين الاولى والثانية. واما بلغ عدد الاساتذة بموجب منشور يوستينان الى اربعة

واما (تعيين المعلمين) للتدريس فكان حراً لا يتقدّم قبل القرن الرابع إلا بتصديق مجاس الشيوخ في بيروت فيصدّقون عليه. وفي السنة ٣٦٢ نشر يوليانس الجاحد قراراً اشترط فيه ان يصير تعيين المعلمين بموجب حكّ من قائد العشرة وتصديق اعيان المدينة ثمّ اقترض الامبراطور ثاودوسيوس ان يُعزّض عليه قرار للقائد والشيوخ فيكون اليه الرجوع الاخير. وليس لدينا ما يشترط للتعليم من عمر المعلمين ولعلّ كل الذين انهرا دروسهم الفهيمية كانوا يستطيعون ان يعرضوا نفهم للتعليم حتى منذ العشرين من عمرهم

من جهة (رتوب المعلمين) لم تُعظّم الدولة معاشاً قبل القرن الخامس فكانوا يتفقون على اجرة معلومة مع تلامذتهم كما يتضح من كتابات ليانيوس. والرجح انّ

الحكومة اجرت عليهم الجرايات منذ السنة ١٢٥٠ كما فعلت مع اساتذة مدارس الفقه في رومية والقطنطينية وهي المدارس الرسمية الثلث بعد إنشاءها - وها  
وكذلك حُصِّتْ اساتذة الفقه ببعض (الامتيازات) في القرن السادس كما فاتهم من  
بعض الخدم للدولة التي كان أعني منها قبلهم الاطباء وعلما الآداب اللاتينية

### ٥ التعليم في مدارس بيروت الفقهية

كان اساتذة بيروت يلقون دروسهم الفقهية في القرنين الثالث والرابع في اللغة اللاتينية كما تشهد عليه سيرة القديس غريغوريوس العجائبي وكتابات ليبيانوس . لكنهم عدلوا الى اللغة اليونانية في اواخر القرن الرابع واولائل الخامس وذلك بعد انقسام الدولة الرومانية بين اركاديوس وهنوريوس ولدي ثودوسيوس فاستفحل استعمال اللغة اليونانية في بوزنطية وملك الروم فضلاً عن شيوع اليونانية في معظم كنانس الشرق الادنى . فكان لا يستبدل اليونانية من اللاتينية تأثراً في شيوع مذاهب اشرنان وآراء معلميهم الفلسفية والدينية

١٠٠ مراد التعليم فكانت قبل اصلاح يوستينيان نظرية وعلمية نظرية تتناول شرح تأليف كبار الفقهاء كاركليان ويايان وغايوس ويارلس والعملية تشتمل على الفتاوى التي افتى بها ارباب الشرع في الدعاوي الخاصة فدرست في المحاكم الرومانية . وكانت تلك المواد مقسمة على اربع سنين ثم اضافوا اليها درس مناشيد الناصرة وشرائعهم الدولية وذلك في سنة خامسة . اما بموجب اصلاح يوستينيان من السنة ٥٢٩ فصخت السنة الاولى بمقدمات دستور يوستينيان ثم في الثلث السنوات التالية كان المعلمون يشرحون بعضاً من كتب الدستور المذكور (Digestes) البالغ الى ٣٦ كتاباً المقسمة على ثلثة اقسام وكان التعليم للسنة الجليلة اختيارياً يتعاطاه بعض المجتهدين في دروس خصوصية

وقد اختلف اسلوب التعليم قبل دستور يوستينيان وبعده . فانَّ الاساتذة في القرنين الثالث والرابع كانوا يقرنون تعليمهم بين التعليم النظري والعمل كما قيل سابقاً وذلك باختيار المعلمين مواد تعليمهم . وقد صار هذا الاسلوب نظامياً في القرن الخامس واولائل السادس . فكان الاساتذة يلقون دروسهم في كل ايام الاسبوع الا

مساء يوم السبت ويوم الاحد بتمامه وكانوا يفتتحون كل درس بذكر بعض النصوص الشرعية فيدلون على فحواها ثم يفترونها لفظاً ومعنى ويشفونها بالمحروطات المختلفة ويقابلون بين شرح من تقدمهم ويبدون فيها رأيهم ثم يلقون على تلامذتهم السؤالات لينبهوا اليها افكارهم وكان الدارسون في اثناء ذلك يدونون في دفاترهم خلاصة ما سمعوه من اساتذتهم

وهذا التعليم تغير نوعاً بظهور الدستور اليوسنياني منذ السنة ٥٣٣ اذ كان يكفي الملم ان يأخذ فصلاً من فصوله ريبين مضاه دون اضافة وانتقاد عليه ومعارضته بما يخالفه

وكانت السنة المدرسية تبتدى عادة في الحريف إلا ان ظروفأ شتى قضت بخلافه هذه العادة فانتأزى بعض التلامذة قصدوا بيروت لحضور دروسها في الربيع وبعضهم حضر في الصيف . وفي الصيف باشر احد الاساتذة هيلاريوس بالقاء دروسه وكان التلامذة عند نهاية دروسهم يطلبون من اساتذتهم اجازة تشهد على حضورهم في المدارس في السنين العينية وعلى كفايتهم في فن المحاماة . وكانوا اذا ارادوا مزاولة فنهم يطالعون ارباب البلاد على اجازتهم فيصدقون عليها

## ٦ في اعمال اساتذة مدرسة الفقه البيروية

ان الذين نظموا في جملة اساتذة بيروت كباراً فقهياً . القرنين الثاني والثالث كنياس واليان وپانيان ينسبون ايضاً تأليفهم الشهيرة الى مدرسة بيروت وقد قلنا سابقاً ان هذا الرأي يخلو من سند ثابت . وكذلك ما ارتآه العلامة مومسن بنسبه الدستور الغريغوري الى مدرسة بيروت ليس امراً راهناً اذ لم يفدنا احد عن غريغوريوس المذكور انه علم في بيروت . ومثله الدستور المنسوب الى هرموجانس فان تعليقه في مدرسة بيروت مشكوك به . وكذلك مجاميع اخرى شرعية شاعت في القرون الثاني والثالث والرابع لا يمكن ان ننسبها قطعياً لاساتذة مدرسة بيروت . وما لا ريب فيه ان هذه التأليف وضعت في المشرق كما يظهر من مضامينها ولعل مصنفها من اساتذة بيروت لكننا لم نجب حتى الآن بنص صريح يزيل الشك من هذا القبيل . وما لا يطارأ عليه ادنى ريب مصنفات اساتذة بيروت في القرن الخامس وان كيرلس

صنف التعريفات الشرعية  $\text{ἱεράρισμα τῶν θεοπνευστων}$  الذي كان المعول عليه قبل الدستور اليوستينياني

وألف بطريقيوس شروحاً على الدساتير الخوقية التي سبقت زمانه وتذييلات على الناشير القيصريّة المروكية . ومثله رصينه دومنينوس الذي وضع شروحاً على الدستورين الفريفوري والثاردوسي . وكذلك ديموستان واودوكسيوس وامبليكوس ولاونتيوس فإن جميعهم بعض التآليف الشرعية وخصوصاً الشروح على الدساتير الشرعية . والى اساتذة بيروت تُنسب التفسير المرونة بالسينائية ( Scholia Sinai-tica ) وتآليف غيرها لم يتفق العلماء على مصنفها

أمّا اساتذة القرن السادس فان لهم فضلاً كبيراً بمساعدة يوستينان في اصلاحه للشرائع الرومانية وكان انتدب لهذا العمل معلّمي الحقوق في مدرسة بيروت كدوروثاوس واناطوليس وثلالاوس وايزيدورس واسطفان واستحقوا بذلك شكر كل علماء الفقه . ومنهم من جعل للدستور اليوستينياني فهرس او ألف له خلاصة تقني عن مطولاته

وترى من هذه الامجالات ما يجتريه كتاب الديونرينيه من ايرتد الجئة التي بها احيا بعض مفاخر وطننا الماطوسة وجعل المدرسة الحاترق العزنوية الحديشة مثالا يقتدي به معلّموها وطلبتّها فيكسبون بيروت فخراً جديداً يُضاف الى ماآرها القديمة فله منّا الشكر العميم

## رحلة الى جبل الشيخ

لحضرة الاب رينه . موترد اليسوعي

١ من بيروت الى بلاد بشارة

اننا بفضل عطلة المدارس السنوية امكتنا في اوائل شهر تموز الماضي ان نزور جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ ونطلع على شي . من آثاره فنقلنا السيارات بساعتين